

معاونة على البرِّ والتقوى. وقال الله عز وجل فيمن منعه النُّصرة وحرمه منه الصُّحبة «لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يُصبحون»، فمن نصره الله على نفسه فقد صحبه، ومن لم يصحبه سلَّط عليه نفسه وسخَّره لها. وجملة الأمر أن السفر عمل من الأعمال يحتاج إلى نية وإخلاص، فمنه فَرُض وهو ما فُرِب به من معصية، ومنه فَضُل وهو ما طُلِب به طاعة، ومنه مباح وهو ما ضُرِب به في تجارة، ومنه معصية وهو ما سُمِّي به في فساد.

## الفصل الثاني والأربعون

### فيه كتاب حكم الإمام ووصف الإمامة والمأموم

فإن كان هذا المرید إماماً لحيه كان عليه أن يقوم بحُكم الإمامة حتى يتمها، فيستحق الإمام بأن يكون له مثل أجر مَنْ صَلَّى خلفه، بأن يكون داعياً إلى الله عز وجل، قائماً بين الله تعالى وبين عباده، هو وجهتهم وطريقتهم إليه. وفي الخبر إنما الإمام أمير، فإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا. وفي الحديث فإن تمَّ فله ولهم، وأن نقص فعليه ولا عليهم. وفي الخبر أتمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم. وفي الخبر المشهور الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن. اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين. وفي الحديث ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، وفي لفظ آخر لا تجاور صلاتهم رؤسهم: العبد الأبق، وامرأة زوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون.

وأول ما على الإمام من الشروط أن يكون مجتنباً للفسوق والكبائر، وغير مصرٍ على الصفائر، قارئاً لكتاب الله عز وجل، أو لما يُحسِن منه بغير لحن ولا إحالة معنى، عالماً بفرائض الصلاة وسُننها، وما يُفسدها، وما يوجب السهو وما لا يوجبها منها. وإن حدثت عليه حادثة في الصلاة، أو ذُكر أنه على غير وضوء، ودرج واتقى الله عز وجل، وخرج من صلاته وأخذ بيد أقرب الناس منه فاستخلفه في مقامه. وقد أصاب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، إمام الأمة، في الصلاة فخرج منها، وذلك أنه ذكر أنه كان جنباً فاغتسل، ثم رجع فدخل في الصلاة، فإن كانت الحادثة في الصلاة فعَل ذلك، وإن كان ذكر أنه دخل في الصلاة على غير طهارة خرج ولم يستخلف وابتدأ القوم صلاتهم. فليكن الإمام مأموناً على طهارته بإكمالها، مأموناً في صلاته بإقامتها، مخلصاً بالإمامة، يريد بها وجه الله تعالى وما عنده. ولا يحل له أن يأخذ على الصلاة أجراً، ولا على الأذان الذي هو طريق إليها. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً، فهذا

الداعي إلى الصلاة لا يحل له أن يأخذ على دعائه أجراً، فكيف المصلي القائم بين الله وبين عباده؟

وقد كان بعض السلف يقول ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء، ولا بعد العلماء أفضل من أئمة المصلين، لأن هؤلاء قاموا بين الله تبارك وتعالى وبين خلقه، هذا بالنبوة، وهذا بالعلم، وهذا بعماد الدين وهي الصلاة. وبهذه الحجة احتج على علي رضي الله عنه في مقدمة أبي بكر رضي الله تعالى عنه للخلافة، لما أهله رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، قال فنظرتنا فإذا الصلاة عماد الدين، فاخترنا لديننا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا. وقال رجل يارَسُولَ اللَّهِ دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ كُنْ مُؤَدِّنًا، قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ كُنْ إِمَامًا، قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ فَصَلِّ بِإِزَاءِ الْإِمَامِ. وقد كان بعض الورعين يرع عن الإمامة لما فيها، ولما على الإمام من ثقلها وتحملها، وكانوا يختارون الأذان على الإمامة ويفضلونه عليها، منهم كثير من الصحابة.

وعلى الإمام أن يراعى أوقات الصلوات ليصلى في أوائلها فيدرك رضوان الله عز وجل، وبين فضل الصلاة في أول وقتها على الصلاة في آخر وقتها كفضل الآخرة على الدنيا، كذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليتم الركوع والسجود، والاعتدال والقعود بينهما، فيكون ذلك قريباً من السواء معتدلاً كله، حتى يدرك من وراءه من الضعفاء والمرضى، فتلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وينبغي أن يكون له ثلاث سكتات، كذلك روى سمرة بن جندب وهمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولهن إذا كبر، وهي الأولى منها، مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب، لئلا يقرؤا في قراءته فيكون عليه ما نقص من صلاتهم، فإن لم يقرؤا فاتحة الكتاب في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك حينئذ عليهم، وقد فعل هو ما عليه، والسكنة الثانية إذا فرغ هو من قراءة الحمد ليتم من بقى عليه شيء من فاتحة الكتاب في هذه السكنة، وهي على النصف من السكنة الأولى، والسكنة الثالثة إذا فرغ من قراءة السورة قبل أن يركع وهي أخفهن على النصف من السكنة الثانية، لئلا يكون مواصلاً في صلاته بأن يصل الكبيرة بالقراءة، ويصل القراءة بالركوع، فقد نُهي عن ذلك. وعلى المأموم أيضاً أن لا يصل تكبيرة الإحرام ولا تسليمه بتسليم الإمام، وعليهما أن لا يصلتا التسليمتين ليفصلا بينهما فقد نُهي عن المواصلة في الصلاة، وعلى المأموم أن يكبر ويركع ويسجد ويرفع ويضع بعد الإمام، ولا يخرؤن سجداً حتى تقع جبهة الإمام على الأرض وهم قيام، ثم يخرؤن بعده. كذلك كانت صلاة الصحابة خلف رسول الله صلى الله

عليه وسلم. ولا يكبر حتى يعتدل الصف وراءه، وليلتفت يمينا وشمالا فإن كان أعوج أشار بيده، وإن رأى خللاً أمر بسدّه فإنّ تسوية الصف من تمام الصلاة. وكانوا يُحانون بين المناكب ويتضامون في الكعاب. وقد قيل إنّ الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام: طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يتمون صلاتهم بعد ركوع الإمام وسجوده، وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يكبرون ويركعون ويسجدون معه مواصلة له ومبادرة، وطائفة تخرج بغير صلاة وهم الذين يرفعون ويضعون قبله فيسابقون إمامهم. وليقرأ في صلاة الغداة بسورتين من المثاني وهي ما دون المائة، فإنّ الإطالة في قراءة الفجر والتفليس سنّة، ولا يضره خروجه منها مسفراً إذا كان قد دخل فيها مغلّساً. ولا أكره أن يقرأ في الركعة الثانية منها بأواخر السور من نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختتمها، لأن في ذلك مزيد تذكرة وفضل تبصرة، لأنه يبعد طروقه على الأسماع لكثرة الاعتياد لتلاوة السور القصار، فهي أدنى إلى الانقطاع والتفكّر، وإنما كرهه أن يقرأ من أولها كذلك ثم يقطع، أو يقرأ من وسطها ثم يركع قبل أن يختتمها، هذا الذي كرهه بعض العلماء.

وقد روينا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس، فلما انتهى إلى نكّر موسى وفرعون قطع فركع. وروينا حديثاً أشهر منه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر مائة من سورة البقرة قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية. وفي الثانية وينا آمنا بما أنزلت. وفي رواية أنه قرأ فيهما شهد الله أنه لا إله إلا هو، وأنه سمع بلائاً يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخطب الطيب بالطيب، فقال أحسنت أو أصبت. والخبر المشهور عن أبي بكر الصديق قال الصنابحي صليت خلفه المغرب فأصغيت إليه في الركعة الثالثة فإذا هو يقرأ هذه الآية وينا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا الآية. فكذاك يُستحب أن يقرأ بهذه الآية خاصة في الثالثة من صلاة المغرب. وروينا عن ابن مسعود أنه أمّ الناس في صلاة العشاء الآخرة فقرأ في الركعة الثانية بالعشر الأواخر من سورة آل عمران، وأنه قرأ أيضاً في هذه الصلاة بأخر سورة الفرقان من قوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء بروحاً. وقد قال الفقهاء في المستحب من القراءة بعد سورة الحمد من الزيادة عليها أن يقرأ ثلاث آيات من سورة، وبعضهم يقول آيتين من سورة، فإنّ اكتفى بسورة الحمد أجزأه. وقد روينا عن جابر بن زيد فقيه أهل البصرة، وكان ابن عباس يستخلف في الفتيا ويأمر أن يُستفتى، أنه افتتح الصلاة ثم قرأ الحمد ثم قال مدهامتان وركع، وهذه أقصر آية في كتاب الله عز وجل، وبعدها ثم نظر. وقد رأيت بعض الأئمة في جامع عظيم من جوامع

المسلمين قرأ في الركعة الثانية من صلاة العشاء الآخرة بأخر سورة يونس وخلفه العلماء والأشهاد فما أنكر عليه أحد.

وليقرأ الإمام في صلاة الظهر بطوال المفصل إلى الثلاثين آية، وفي صلاة العصر بوسط المفصل على نصف صلاة الظهر، وفي المغرب بأواخر المفصل. وأخر صلاة صلأها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المغرب قرأ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة والمرسلات، ماصلى بعدها حتى قبض صلى الله عليه وسلم. وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخف الناس صلاة في تمام، ثم قال أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالتخفيف في الصلاة، وإن كان ليؤمننا بسورة والصفات. وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرخص إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الكبير والضعيف وذو الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء. وقد كان معاذ بن جبل يصلى بقومه صلاة عشاء الآخرة فافتتح بسورة البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه ثم انصرف، فقالوا نافق الرجل، ثم تشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى الرجل وزر معاذ، وقال أفتان أنت؟ إقرأ بسورة سبج، والسماء والطارق، والشمس وضحاها.

وليسبج الإمام في ركوعه وسجوده سبعا أو خمسا ليدرك من وراءه ثلاثا ثلاثا، لأنهم يركعون ويسجدون بعده. وروينا أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة، قال ماصلت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل صلاة هذا الشاب، قال وكنا نسبج وراءه في الركوع والسجود عشرا عشرا. وقد روينا مجهلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنا نسبج وراءه في الركوع والسجود عشرا عشرا. فإن قرأ في الأخيرتين من الظهر والعصر وشاء الآخرة بعد الحمد بسورة قصيرة أو آيتين من سورة فحسن، ليدرك من وراءه قراءة الحمد على مهل. وقد اختلف مذهب السلف في الإمام يكون راعياً فيسمع خفق النعال، هل ينتظر في ركوعه ويتوقف حتى يدخلوا في الركعة أو لا يباليهم، فقال بعضهم ينتظر حتى يلحقوا معه، ومن اختاره الشعبي. وقال آخرون لا ينتظروهم فإن حُرمة من معه في الصلاة أعظم من حُرمة من تأخر عنها، وقال بهذا إبراهيم النخعي. وكذلك قال فقهاء الحجاز لا ينتظروهم فإنه زيادة في الصلاة، ومن الإخلاص بها ترك التوقف بها لأجلهم. وقال بعض فقهاء الكوفة إن انتظروهم فحسن ليدركوا مع الجماعة فيكون له فضل إدراكهم. وقد قدم عثمان القنوت قبل الركوع في صلاة الغداة ليدرك الناس الركوع. والذي عندي في هذا التوسط، وهو أنه ينتظر، فإن سمع خفق نعالهم في أول ركوعه فلا بأس أن يمد حتى

يلحقوا، وإن سمعها في آخر ركوعه عند رفع رأسه لم أحب أن لا يزيد في الصلاة لأجلهم، فليرفع ولا يبالي. وأفضل التشهد عندى الذى رواه ابن مسعود وجابر. وقد اختلفت الروايات فى الفاظ التشهد، والذى اختاره وأقوله مارويناه عن عبد الله بإثبات الواوات، ويتقديم اسم الله عز وجل فى أوله، وبزيادة المباركات، فأكون بذلك جامعا بين جميع الروايات، لأن فى حديث عمر ذكر المباركات وتأخير قوله لله عز وجل. ومن رواية ابن عمر ذكر التسمية، وقد رويانا ذلك فى حديث الثورى عن أيمن بن وائل عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «بسم الله وبالله، التحيات لله، والصلوات والطيبات لله عز وجل»، فهذا هو الأفضل عندى لأنه هو الأحوط، ولدخول روايات الجماعات فيه. ثم اختلفوا فى مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم بالإشارة إليه فى السلام أو تركها، فالذى اختاره «السلام على النبى صلى الله عليه وسلم، إلى رحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، لأنه قد جاء فى بعض الأخبار كالتفسير لما ذكرناه، قال كنا نقول إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته»، فلما قبض صلى الله عليه وسلم صرنا نقول «السلام على النبى». وفى كل الروايات قوله «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، فكذلك أختار، إلا فى رواية عمر فإنه ذكره «رسول الله صلى الله عليه وسلم». وحدثنى بعض العلماء عن بعض الصالحين، قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام، فقلت يارسول الله قد اختلف العلماء علينا فى التشهد، فبم نأخذ، فقال التشهد هو الذى رواه ابن أم عبد. ولا يدع الإمام أن يستعيز فى تشهده بالكلمات الخمس، فيقول أعوذ بك من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الحيا والمات، ومن فتنة المسيح الدجال، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون، وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر به. (والمسيح بنصب الميم مع التخفيف لأنه قيل سمى كذلك، معنولاً به من ماسح، أى يمسح الأرض مسحاً، لأنه قيل تطوى له الأرض. وبعض أهل اللغة يقول عدل به عن مسح العين أى مطموسها). والتكبير والتسليم جزم، والأذان جزم، قد قيل ذلك. وأستحب أن يكون المؤذن غير الإمام. وقد رويانا فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره أن يكون الإمام مؤذناً. وقد كان عمر رضى الله عنه إذا ذكر فضل الأذان يقول لولا الإمامة لأذنت. ورويانا عن النبى صلى الله عليه وسلم الأذان إلى المؤذن، والإقامة إلى الإمام أى هو أمك بها، وللمؤذن أن ينتظر الإمام، وليس على الإمام والمأموم انتظار المؤذن إذا دخل الوقت، ولا على المؤذن انتظار أحد إذا انتظر الإمام وبخل الوقت.

والصلاة فى أول زمتها أفضل من انتظار الجماعة لها، وأفضل من قراءة طوال السور فيها. وقيل قد كانوا إذا حضر اثنان فى الصلاة لم ينتظروا الثالث، وإذا حضر أربعة فى الجنائز لم ينتظروا الخامس. وقيل انتظار المؤمن مع شهود الإمام مكروه، والنعى بالميت والإيدان به بدعة. وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الفجر وكانوا فى سفر، وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظروا وقدموا عبد الرحمن بن هوف فصلّى بهم، حتى فانت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها، قال فأشفقنا من ذلك فقال أحسنتم، هكذا فافعلوا. وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أباً بكر رضى الله عنه حتى جاءهم فى الصلاة فقام إلى جانبه. وليدخل الإمام فى الصلاة مكبراً إذا قال المؤذن قد قامت الصلاة، ويكون الناس قد قاموا إذا قال المؤذن حى على الصلاة. كذلك السنة وعليه كان السلف، ورويناه عن على عليه السلام وعبد الله. وكانوا إذا قال المؤذن حى على الصلاة قام الناس للدعوة، فإذا قال قد قامت الصلاة كبر الإمام ويبقى المؤذن وحده يتم الإقامة، ثم يدخل فى الصلاة والإمام يقرأ سورة الحمد، لأن حقيقة قوله قد قامت الصلاة أى قد قام الناس للصلاة وقد قام المصلون، لأن الصلاة لا تقوم، فإذا قاموا عند قوله قد قامت الصلاة كان المؤذن صادقاً فى قوله، وإن كان جائزاً على المجاز لقرب الوقت وظهور سبب القيام، ولذلك كره أن يكون الإمام مؤذناً، لأنه حينئذ يحتاج أن يكبر ويدخل الناس فى الصلاة عند قوله قد قامت الصلاة. وكذلك جاء عن السلف من السنة أن يكون الأذان فى المنارة والإقامة فى المسجد، ليقرب على المؤذن الدخول فى الصلاة. وكذلك قال بلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبقنى بأمين أى تمهل حتى أدرك التأمين معك، لفضله، إذ قد علم أنه يسبقه بافتتاح الحمد، وفى هذا دليل على صحة اختيارنا فيما ذكرنا من انتظار الإمام لمن سمع خفق نعله إذا كان فى أول الركوع، لقول بلال لا تسبقنى بأمين ولم يقل لا تسبقنى بالحمد. ولا أستحب للإمام الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت آية من سورة الحمد، فأكثر الروايات وأثبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الجهر بها، وأنه الآخر من فعله، فقد كانوا يأخذون بالآخر فالآخر من أفعاله صلى الله عليه وسلم، ولأنه مذهب أكثر العلماء. وروينا عن ابن مسعود أنه قال من السنة أن لا يخفى الإمام أربعاً: سبحانك اللهم، والاستعاذة، وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم، والتأمين. وقد روينا عن على كرم الله وجهه الجهر بها. وعن ابن عباس ليس من السنة الجهر بها. ولا أكره القنوت فى صلاة الغداة بالكلمات الثمانية التى رويت عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يقولها سرّاً ولا يرفع يديه، لأنها تجرى

مجرى الدعاء، وإن تَرَكَ ذلك فَحَسَنَ، وقد تركه أكثر الفقهاء. وأستحبُّ أن يقرأ في ليلة الجمعة وغداتها من السور ما روينا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثين، المشهور منهما أنه كان يقرأ في صلاة الغداة يوم الجمعة بسورة السجدة وهل أتى، والحديث الآخر أنه كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وفي عشاء الآخرة بسورة الجمعة وسورة المنافقين. وأستحبُّ أن يقول في تشهده من الدعاء ما علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة من الجوامع والكوامل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَأَجَلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، أَسْأَلُكَ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ. اللَّهُمَّ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رَشِيداً... ثم يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ويقول: رَيْنَا لَا تُزِغْ قُلُوبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا الْآيَةَ، رَيْنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. وليس بعد هذا دعاء مفضل ولا كلام ماثور، سوى ما ذكرناه أنفاً من الاستعاذة بالكلمات الخمس، وإن اقتصر عليها أجزأته. ويكره للإمام أن يخص نفسه بدعاء بون من خلفه، فإن دعا في صلاته فليجمع بالنون فيقول نسألك ونستعيذك، وهو ينوي بذلك نفسه ومن خلفه. وفي الخبر من أم قوماً فلا يخص نفسه بدعوة بونهم.

فإن اختار المرید التذنين على الإمامة فقد قال بعض السلف من العلماء، أن الأذان أفضل من الإمامة، وأن الأذان أعظم أجراً، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإمام أمير، ولقوله الإمام ضامن، فشبهها بالإمارة والضمان، ثم قال فإن نقص فعليه لا عليهم، فالأذان أسلم. ولعله لا يقوم بحكم الإمامة، ولا يتم وصف الإمام، فيكون عليه بعض صلاة المصلين، كما يكون له أيضاً في الإتمام أجورهم. وأيضاً فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا للمؤمنين دعاءً هو أمدح من دعائه للإمام، يقول اللهم ارشد الأئمة، واغفر للمؤذنين، ويقول يغفر للمؤذنين مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس. ووصفه أيضاً بوصف هو أبلغ، فقال المؤذن مؤتمن، وفي لفظ آخر مؤذنونكم أمناؤكم، وأئمتكم ضمناؤكم. فالأمين أرفع حالاً من الضامن، لأن الضامن غارم وقد لا يكون أمينا، والأمين مكين ولا ضمان عليه. ومن هذا كره سهل بن سعد الصاهدي الإمامة، قال أبو حازم قلت لسهل بن سعد، وكان يقدم فتیان قومه يصلون به، فقلت أنت صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولك من السابقة والفضل لو تقدمت فصليت بقومك، فقال يا ابن أخي سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول الإمام ضامن

فأكره أن أكون ضامناً، وفي الخبر من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة، ومن أذن أربعين عاماً دخل الجنة بغير حساب. وروينا في تفسير قوله تعالى «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله»، قال نزلت في المؤذنين، «وعمل صالحاً» قال الصلاة بين الأذان والإقامة، ويستحب إذا فرغ المؤذن من الأذان أن يقول وأنا من المسلمين الحمد لله رب العالمين. وأستحب أن يصلى المؤذن بين الأذان والإقامة وأن يجهد في الدعاء.

وكان السلف يكرهون أربعا ويتدافعونها عنهم - الإمامة والفتيا والوصية والوديعة. وقال بعضهم ماشيء أحب إلى من الصلاة في جماعة وأكون مأموماً، فأكفى سهوها، ويتحمل غيرى ثقلها. ولكن إذا أقيمت الصلاة فليتقدم من أمر بالتقدم ولا يتدافعونها، فقد جاء في العلم أن قوماً تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم، ولكن لا يقيم المؤذن حتى يحضر الإمام، ولا ينتظروا الإمام قياماً فإنه مكروه. وقال رسول الله عليه وسلم لا تقوموا حتى ترونى. وكان بشر بن الحارث يقول من أراد سلامة الدنيا وعز الآخرة فليجتنب أربعا - لا يحدث، ولا يشهد، ولا يؤم، ولا يفتى، وفي بعضها ولا يجيب دعوة. وقال مرة ولا يقبل هدية. وهذا من تشديده. والذي اختار من التأذين والإقامة مذهب أهل الحجاز بتثنية الأذان بالترجيع، وإفراد الإقامة، وأن يزيد في أذان الفجر الصلاة خيراً من النوم مرتين، وأن يؤذن لها قبل دخول الوقت خاصة ليتأهب لها المصلون، فليدع الاختيار للكثير، وأن يعد المؤذن صوته ويرفعه جهده ويترسل أذانه. وقيل كانوا يستحبون خفض الصوت في كل موطن إلا في موضعين، في الأذان وعند التلبية. وفي الخبر يتمهل المؤذن بين أذانه وإقامته قدر ما يفرغ الأكل من طعامه، والمعتصر من اعتصاره، فهذا توقيت من مقدار المصلين بين الأذنين، فمن كانت به حاجة إلى هذين فليقدم ذلك قبل دخوله في الصلاة لئلا يشغله شيء عن صلاته. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مداغة الأخبثين في الصلاة، وأمر بتبدئة العشاء في قوله إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء، ذلك ليكون القلب فارغاً لربه خالياً من نوائبه، فذلك من إقامة الصلاة وتمامها.

وأكره الإمامة لمن كثر سهوه في الصلاة، أو دام اشتغال قلبه عن فهم المناجاة، أو لمن علم أن وراه من هو أقرأ منه أو أفقه في الدين والعلم، وإن كان هو عابداً صالحاً، أو لفقيه بالعلم إذا كان وراه اتقى منه وأصلح وأورع. ولا يؤم الأمي القراء، ولا الأعجمي الفصحاء، ولا المتيممون المتوضئين، وإن اتفق أميون قدم أقرؤهم، وإن حضر أئمة قراء فليتقدم أفقهم

بالعلم، وإن اتفق رجلان أحدهما قد جمع كل القرآن إلا أن الآخر أحسن تجويداً وثقيفاً لما يقرأه وليس يحفظ جميعه، فليُقدِّم أقومهم قراءةً إذا كان عالماً بالصلاة. وفي الخبر يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل، فإن كانوا في القراءة سواء ففقههم في الدين، فإن كانوا في الفقه سواء فأكبرهم سنناً، لذلك الأمر الرجل أحق بالإمامة إذا كان في منزله إلا أن ياتنن. وأستحبُّ للإمام إذا سلّم أن يسرع الانفتال بوجهه إلى الناس، وأكره للمأموم القيام قبل انفتال إمامه، فقد روينا في ذلك سنّة حسنة عن طلحة والزبير أنهما صليا في البصرة خلف إمام، فلما سلّما قالوا للإمام ما أحسن صلاتك وأتمّها كما كنا نصلي، إلا شيئاً واحداً أنك لما سلّمتم لم تنفتل بوجهك. ثم قالوا للناس ما أحسن ما صلّيتم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم. ومن كرهه جيرانه أو كرهه من وراءه من المأمومين فلا يحل له أن يتقدم، فإن اختلفوا فكرهه قوم وأحبه آخرون نظر إلى أهل الدين والعلم منهم فحكم بقولهم، ولا يعتبر الأكثر إذا كان الأقل هو الأخير. ولا يصلّي خلف مبتدع فمن صلّى خلف مبتدع ولا يعلم فليُعد. ومن سمع الأذان من مسجد وهو في طريق يمشى فليدخل فليصل ولا يؤخر إلى مسجد آخر، إلا لأحد معنيين أن يكون على يقين من لحوق إمام آخر أفضل من هذا، أو يكون يعرف هذا ببديعة أو فسوق، وإلا فالصلاة مع أول من قام بها من المسلمين أفضل.

وفي الخبر لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد. وفي جار المسجد قولان أحدهما من سمع الأذان، وروى هذا عن طي عليه السلام، والثاني من كان بينه وبين المسجد ثلاث دور وهو الرابع. والتشديد في ترك الجماعة على من سمع التائبين ومن كان في جنبه مسجدان، فتولّاهما بالصلاة فيه أقربهما منه، وهذا مذهب الحسن، إلا أن يكون له نية في كثرة الخطأ إلى الأبعد، أو يكون إمام الأبعد هو الأفضل. وقيل أقدمهما، وروى هذا عن أنس بن مالك وبعض الصحابة أنهم كانوا يجاوزون المساجد المحدثّة إلى العتق. ومن كان مأموماً فلا يقرأ سورة مع الحمد فيما يجهر به الإمام أصلاً، ولا يقرأ الحمد أيضاً إلا في سكتات الإمام وإن قطعها، فإن لم يكن للإمام سكتات قرأ الحمد فقط فيما يجهر به الإمام، وكان ماعليه من وُزْد قراءته في قراءة الإمام على إمامه، لأنه قد نقص صلاته وترك ماعليه، فالله عز وجل حسيبه. فإذا أسر الإمام فليقرأ الحمد وسورة إذا أمكنه، ولا بد من قراءة الحمد وحدها. وأستحبُّ للإمام أن يتحوّل إذا صلّى المكتوبة فلا يصلّي في موضعه نافلة. ففي الخبر أن

النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم وثب. وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا سلم وثب. وكان عمر رضى الله عنه إذا سلم وثب. وفى الخبر المشهور أنه لم يكن يقعد إلا قدّر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، ثم ينصرف. وإن تحول المأموم فصلّى النافلة فى غير مكان الفريضة ولو بقدم فصّسن، ففى ذلك أثر، فإن جلس قليلاً للتسييح والدعاء فلا بأس. وهذا آخر كتاب الإمامة.

### الفصل الثالث والأربعون

## فى كتاب الاخوة فى الله تبارك وتعالى. والصحة والمحبة للإخوان . وأحكام المواخاة وأوصاف المحبين

نكّر الله عز وجل عباده المؤمنين نعمته عليهم فى الدين إذ ألف بين قلوبهم بعد أن كفروا متفرقين، فأصبحوا بنعمته إخواناً بالألفة متفقين، وعلى البرّ والتقوى مضطجعين، ثم ضمّ التذكرة بالنعمة عليهم إلى تقواه، وأمر بالاعتصام بحبله وهُداة، ونهى عن التفرّق إذ جمعهم الدار وقرن ذلك بالمنة منه عليهم، إذ أنقدهم من شفا حفرة النار. وقد جعل ذلك كله من آياته الدالة عليه سبحانه وتعالى وسبّله الواصلة بالهداية إليه، فقال فى جمل ما شرعناه «ها أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تفرّقوا» إلى «ولعلمكم تهتدون».

وقد كانت المواخاة فى الله تعالى والصّحة لأجله، والمحبة له فى الحضر والسفر، طرائق للعاملين. فى كل طريق فريق، لما فى ذلك من الفضل، ولما جاء فيه من الأمر والندب، إذ كان الحب فى الله عز وجل من أوثق عرى الإيمان، وكانت الألفة والصّحة لأجله والمحبة والتزاود من أحسن أسباب المتقين. وقد كثرت الأخبار فى تفضيل ذلك والحثّ عليه. وليس قصدنا الجمع لما روى ليلنا إلى الإيجاز فى كل فن، ولكن نذكر الأفعال المستحسنة وما تعلق بها معاليد منه. على أن رأى التابعين قد اختلف فى التعرف، فمنهم من كان يقول أقلل من المعارف فإنه أسلم لدينك وأقلّ غداً لفضيحتك، وأخفّ لسقوط الحقوق عنك، لأنه يقال كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق، وكلما طالت الصّحة توكدت المراعاة. وقال بعضهم هل رأيت شراً إلا ممن تعرف، فكلما نقص من هذا فهو خير. وقال بعضهم أنكز من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف. وممن مال إلى هذا الرأى سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخوامن ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى